النَّبِيُّ الأَعْظَمُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ

(صلى الله عليه وآله وسلّم)

الشيخ علي فقيه

وُلد رسول الله محمد بن عبد الله(ص) يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق لسنة 570 ميلادي، وتُوِّجت ولادته بالعديد من الكرامات حيث تساقطت الأصنام في الكعبة على وجوهها، وانخمدت نار فارس بعد اشتعال مستمر دام لقرون من الزمن، وانكسر إيوان كسرى، وانتشر خبر تلك الولادة وما جرى يومها من أحداث أنبأت عن جانب من شأن هذا المولود الموعود، وارتضع رسول الله(ص) من أمه آمنة ثلاثة أيام إما لكونها كانت مريضة أو لأنها خافت عليه من الأمراض التي كانت تصيب أهل مكة بسبب كثرة الوافدين إليها من كل حدب وصوب، ثم أرضعته امرأتان:

الأولى: تُدعى : **ثويبة،** وقد حفظ رسول الله(ص) جميلها هذا حيث كان يكرمها وقد حاول أن يعتقها من أبي لهب فرفض.

والثانية: تُدعى : **حليمة السعدية**، حيث رفض الإرتضاع من غيرها بعد ثويبة، ومنذ أن وطئت قدما رسول الله دار بني سعد راحت الخيرات تنزل عليهم من السماء وتخرج إليهم من الأرض، وقد عاش الرسول عند حليمة خمس سنين كان فيها بمنزلة ولدها.

وبعد أن قضى رسول الله(ص) تلك المدة في قبيلة بني سعد رجع إلى أمه آمنة لتتابع رعايته كما يجب، ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن لا يبقى محمد مع أمه سوى أشهر قليلة حيث وافتها المنية في منطقة الأبواء أثناء زيارتها لقبر زوجها في المدينة، وكانت(ع) قد أمضت في المدينة شهراً برفقة أم أيمن، وكان(ص) في تلك الرحلة قد رأى البيت الذي توفي فيه والده، وبذلك أصبح الرسول يتيم الأبوين وهو ابن ما يقرب من ست سنوات، ولا شك بأن في ذلك حكمة من الله تعالى الذي أكسبه بذلك عطف

الناس عليه وبالخصوص عطف جده عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه.
وكفله جده ثم عمه أبو طالب الذي أعطاه الرعاية والحماية حتى وافته المنية هو الآخر مشكوراً ومأجوراً، ومن حينها لم يهدأ بال رسول الله من شرور الوثنيين واليهود واستمر في تبليغ الرسالة وأداء الوظيفة حتى أكمل الدين وأتم النعمة.
وقبيل ارتحاله إلى الرفيق الأعلى أراد النبي ص أن يُثبت الدين ويحافظ على الإسلام والمسلمين كيلا يتحرفوا بعد موته فقرر بهدف الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة عن محورها الاَصلي، والحيلولة دون ظهور الاختلاف و الافتراق، أن يعزز مكانة علي (عليه السلام) ويدعم إمارته وخلافته، و أهل بيته، بإثبات ذلك في وثيقة خالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح.

ففي خلال زيارة بعض الصحابة له أثناء مرضه قال: «إئتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده». فبادر عمر قائلاً: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. فكثر اللغَط والنقاش حول إحضار ما طلبه النبي أو عدمه، ممّا أغضب النبي (ص) فقال: «قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع

وقد نَقل هذه الواقعة فريقٌ كبيرٌ من محدّثي الشيعة والسنة ومؤرخيهم، وتُعتَبر من الروايات الصحيحة. وإذا سأل أحد عن عدم إصرار النبي على كتابة ذلك الكتاب، فذلك لأنّه (ص) إذا أصرّ على موقفه، لاَصرّ هؤلاء في الإساءة إلى النبي وخاصة أنّهم قالوا عنه، أنّه غلبه الوَجَع أو هجر، ثمّ قيامهم بعد ذلك بإشاعة الأمر بين الناس.

وقد روى ابن حجر العسقلاني، أنّ النبي قال لأَصحابه وقد امتلأَت بهم الحجرة وهو في

مرضه: «أيّها الناس يوشك أن أُقبضَ سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القولَ معذرةً إليكم، إلاّ أنّي مخلفٌ فيكم كتابَاللّه ربّي عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي».
ثمّ أخذ بيد علي (عليه السلام) وقال :«هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، خليفتان نصيران لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض فاسألهما ماذا خلفت فيهما».
ومن الواضح أنّالنبي لفت الاَنظار إلى حديث الثقلين مرّة أُخرى، برغم ما ذكره في مواضع متعدّدة، حتّى يوَكد أهمية الثَّقلين، وتدارك ما فات من كتابة الكتاب الذي لم يوفّق لكتابته.
وفي هذه اللحظات، طلب بعضاً من الدنانير كان قد وضعها عند إحدى زوجاته، وأمر علياً (عليه السلام) ليتصدّق بها.
وفي تلك الفترةالحرجة، كانت السيدة الزهراء(عليها السلام) تلازم فراش والدها لا

تفارقه لحظة، وفجأة طلب منها أن تقرب رأسها إلى فمه ليحدّثها، فراح يكلّمها بصوت خفيفٍ لم يُعرَف،ولكن الزهراء(عليها السلام) بكت بشدّة، إلاّ أنّ النبي أشار إليها مرّة أُخرى فحدّثها بشيء آخر، فرحت به وتبسمت مستبشرة. ولم تكشف عن ذلك إلاّ بعد وفاة النبي بناء على إصرار عائشة: «أخبرني رسول اللّه ص أنّه قد حضر أجلُه وأنّه يُقبَض في وجعه، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت».

وفي آخر لحظة من حياته الشريفة طلبَ الإِمام عليّاً (عليه السلام) قائلاً: «أُدعوا لي أخي». فعرف الجميع بأنَّه يريد عليّاً (عليه السلام) فدعَوا له عليّاً، فقال له: «أُدن منّي فدنا منه، فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه».

وسأل رجل ابن عباس: هل توفّي رسول اللّه في حِجر أحد؟ قال: توفّي وهو مستند إلى

صدر عليٍّ،وهو الذي غسَّله وأخي الفضلُ بن عباس.
وقد ترك الدنيا (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الإِثنين 28 صفر، فَسُجّي ببرد يماني، ووُضع في حجرته بعض الوقت، وارتفعت صرخات العيال، وعلا بكاء الأَقارب، وانتشر نبأ وفاته في كلّ أنحاء المدينة التي تحولت إلى مأتم كبير.
وقام الإِمام علي (عليه السلام) بغسل جسده الشريف وكفّنه، إذ أنّه كان قد ذكر: «يغسّلني أقربُ الناس إليّ». وصلّى عليه مع المسلمين، وتقرر دفنُه في حجرته المباركة. وحفر قبره أبو عبيدة بن الجراح وزيد بن سهل، ودفنه الإِمام علي (عليه السلام) يساعده الفضل بن العباس.
و لمّا فرغ الإِمام (عليه السلام) من غسله (ص) كشف الإِزار عن وجهه وقال والدموع

تنهمر من عينيه: بأبي أنت و أُمّي، طبتَ حيّاً وطبتَ ميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوة والأَنباء. ولولا أنّك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لأَنفدنا عليك ماءَ الشوَون، ولكان الداءُ مماطلاً، والكمَدُ محالِفاً وقلاّ لك، ولكنّه ما لا يُملَك ردّه ولا يستطاع دفعه! بأبي أنت و أُمّي أُذكرنا عند ربّك واجعلنا من بالك».

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيّرت مسار التاريخ البشري بتضحياته الكبرى وجهوده المضنية، وأعظم رسولٍ إلهيٍ فتح أمام الإِنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

فسلام الله عليك وصلواته يا أعظم خلق الله.